

الأصول العربية لبعض الشعوب المسلمة في أوروبة (المجر) التاريخ - الخيال - السياسة

الأستاذ الدكتور محمد م. الأرناؤوط

قسم التاريخ

جامعة آل البيت

الأردن

مقدمة:

لقد حيرت مسألة نشأة المجر وتحركاتهم الأولى الباحثين لوقت طويل، بل يمكن القول، على حدّ تعبير ماكارتن، أنها واحدة من أكثر الألغاز التاريخية غموضاً^(١).

ومن المؤكد على الأقل أن المجر ينتمون إلى العائلة الفينية - الأوغرية Finno-Ugric من الشعوب الأورالية، حيث ينتمي الفننديون إلى القسم الأول (الفيني Finnic)، بينما ينتمي المجر والشعوب الأوب أوغرية Ob-Ugric إلى القسم الأوغري Ugric. ويعتقد أن الموطن الأصلي للفينو-أوغريين كان ما بين حوض الفولغا وجبل كاما وبلايا، حيث اندفع القسم الفيني باتجاه الغرب (حوض البلطيق)، بينما بقي القسم الأوغري في موطنه إلى أن خضع لتقلبات المنطقة. وهكذا فقد انتهت الوحدة الفينية - الأوغرية نحو ٥٠٠ ق. م، حيث هاجر بعد القسم ذلك قسم من الأوغريين إلى سيبيريا الغربية

والبشكير والخزر (وخاصة من قبيلة الكابار منهم) مما انعكس هذا على اللغة وأسماء القبائل والأمكنة والاسم الذي عرف به المجر في المصادر الشرقية والغربية: الأونغر Ungar والهنغر Ungrois والترك Turk وغير ذلك^(٢).

ونظراً لمجاورتهم الأتراك البشكير في بشكيريا الحالية، التي أصبحت تدعى هنغاريا الكبرى Magan Hungaria، فقد اختلطوا معهم أيضاً واختلط ذلك على معظم المؤلفين المسلمين الذين دعواهم باسم "الباشغرد" منذ منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وفي ذلك الوقت تعرض المجر إلى هجوم مفاجئ اضطرتهم لترك موطنهم والتوجه نحو الغرب^(٣). فقد شهد ذلك الوقت صراع على السهوب بين الأتراك والأوغوز (الغز) والأتراك البيتشنغ (البجنق)، حيث تمكن الأوغوز من طرد البيتشنغ من موطنهم مما دفعهم إلى الهجوم على المجر لاحتلال موطنهم. وهكذا فقد اضطرت المجر أمام هذا الهجوم/ الضغط المفاجئ أن يندفعوا نحو الغرب ويعبروا جبال الكارابات ويستقروا في الموطن الحالي لهم حوالي سنة ٨٩٥م، بقيادة زعيمهم أرباد. ومن المؤكد أنه قد صاحب المجر إلى موطنهم الجديد بعض جيرانهم وحلفائهم من الخوارزمية والخزر، كما أنه بقي يلتحق بهم في الموطن الجديد بعض البيتشنغ. وفي هذه الحالة فقد جاءت هذه القبائل/ الشعوب بدياناتها الأصلية (الوثنية واليهودية والإسلام)، ولم يتمكن أحفاد أرباد من تأسيس دولة/ أمة واحدة، إلا بعد نحو قرنين من الزمن، وذلك بعد نشر الكاثوليكية بالترغيب والترهيب في البلاد^(٤).

المعطيات الأولى للمؤلفين المسلمين عن المجر في الموطن الأصلي:

في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي لدينا مصدران مهمان (ابن رسته وابن فضلان)، يتحدثان عن الجفرية والباشغردية، حيث اعتمدت عليهما المصادر اللاحقة بصيغ مختلفة ومضطربة أحياناً لذكر ذلك الشعب الذي كان يسكن حوض الدون في ذلك الوقت. وعلى أن الأول (ابن رسته) استند فيما يبدو إلى

ما كتبه الجهماني نجد أن الثاني (ابن فضلان) قام بوصف ما شاهده الباشفرد خلال رحلته إلى بلاد البلقان في سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م.

ويذكر ابن رسته في كتابه "الأعلاق النفيسة" الذي ألفه نحو ٢٩٠هـ/٩٣٠م، "المجفرية جنس من الترك" وأن "بلادهم واسعة ... ذات شجر ومياه وأرضهم ندية ولهم مزارع ولهم الغلبة على جميع من يليهم من الصقالبة"، ويحدد موضعهم بين بلاد البجاناكية (البجناقية)، وبين بلاد البلغار حيث "يتصل حد منها ببحر الروم وينصب إلى ذلك البحر نهران"، أي بين الدون والدانوب الأسفل^(٥).

وبالمقارنة مع ابن رسته، الذي يبدو أنه اعتمد على الجهماني وعلى غيره، نجد أن ابن فضلان قد جال في تلك المنطقة بنفسه ووصف لنا الشعوب التي شاهدها في طريقه. وكان الخليفة العباسي المقتدر بالله قد استقبل رسولاً من ملك البلغار/الصقالبة يطلب منه إرسال وفد للتعريف بالإسلام وبناء مسجد هناك والدعوة للخليفة. وقد استجاب الخليفة حينئذٍ لذلك وأرسل وفداً برئاسة العالم أحمد بن فضلان، الذي انطلق بهذه البعثة من بغداد في ١١ صفر ٣٠٩هـ/ ٢١ حزيران، ووصل عند ملك البلغار/الصقالبة في ١٢ محرك ٣١٠هـ/ ١١ أيار ٩٢٢م^(٦). وقد وصف ابن فضلان "الباشفرد" حين دخل بلادهم فذكر أنهم "قوم من الترك"، بل أنهم "شر الأتراك وأقذرهم وأشدّهم إقداماً على القتل"، لذلك فقد حذرهم "أشد الحذر" خلال إقامته. وقد ركّز ابن فضلان في الفصل الذي خصصه للباشفرد على ديانتهم، حيث ذكر أنهم يعبدون آلهة تمثل مظاهر الطبيعة (الشتاء والصيف والمطر والرياح والشجر... إلخ)، مع التسليم بوجود ربّ أكبر في السماء، بينما يعبد آخرون منهم بعض الحيوانات كالحيات والسماك الكراكي^(٧).

وبعد نحو نصف قرن نجد أن المسعودي (توفي ٣٤٥هـ/٩٥٦م)، قد تطرق أيضاً إلى ذكر "البجفرد" في كتابه "مروج الذهب"، وذلك في سياق حديث عن الحرب التي دارت بين البجفرد والبجناق من ناحية وبين بيزنطة من ناحية أخرى، خلال سنوات ٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٤٣-٩٤٤م^(٨). وفي ذلك الوقت نجد أن الأسطرخي (توفي

٣١١هـ/٩٥٧م)، أيضاً يورد في كتابه "مسالك الممالك" ذكر "البسجرد" سواء للبشكير أو للمجر، الذين يقول عنهم أنهم في جوار البجناق^(٩). وهذا الذي أورده الأصرطرخي كان المصدر الأساسي لابن حوقل (توفي ٣٧٠هـ / ٩٨١م) في كتابه "المسالك والممالك" أو "كتاب صورة الأرض"، الذي انتهى منه في ٣٦٧هـ / ٩٧٧م، حيث يرد فيه الاسم بصيغة "البشجرد أيضاً"^(١٠).

أما في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، فلدينا البكري (توفي ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م)، الذي يبدو أنه اعتمد في كتابه "المسالك والممالك" على نفس المصدر الذي اعتمد عليه ابن رسته لوصف بلاد المجرية^(١١)، أي أنه لم يصنف شيئاً جديداً يذكر عنهم بعد كل هذا الوقت.

معطيات أبي حامد الغرناطي عن المجر في الموطن الجديد لهم:

بعد مرور نحو قرنين من الزمن على انتقال المجر وغيرهم إلى الموطن الجديد، وبعد أن استقرت المجرية هناك، جاء الرحالة أبو حامد الغرناطي ليقوم برحلة طويلة إلى بلاد الباشغرد/ المجر ويحظى هناك بإقامة طويلة (٥٤٥-٥٤٨هـ / ١١٥٠-١١٥٣م)، ساعدته على تقديم معطيات جديدة ومختلفة عن المسلمين في المجر في كتابيه المعروفين "المعرب عن عجائب المغرب"، و "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب". وبالمقارنة مع ابن فضلان، الذي نكاد لا نعرف عنه شيئاً، نجد أن المصادر توفر لنا الكثير عن أبي حامد الغرناطي^(١٢).

وكان أبو حامد الغرناطي (نسبته إلى غرناطة التي ولد فيها سنة ٤٧٣هـ / ١٠٧٠م)، وقام برحلته الأولى إلى الاسكندرية والقاهرة لطلب العلم في (٥٠٨هـ / ١١١٤م)، وقام برحلته الثانية إلى بغداد في (٥١٦هـ / ١١٢٢م)، حيث بقي أربع سنوات يتمتع بعطف الوزير يجيى بين هبيرة المعروف بحبه للعلم ورعايته للعلماء. وفي (٥٢٣هـ / ١١٣٠م)، قام برحلته الأولى إلى أوروبة، حيث وصل إلى مصب نهر الفولغا، بينما قام في (٥٣٠هـ / ١١٣٦م)، برحلته الثانية إلى بلاد البلغار، حيث توفي هناك أحد

أولاده. وبعد فترة انقطاع عشرين سنة قام برحلته الثالثة إلى بلاد الباشغرد/ المجر، حيث بقي نحو سنتين (٥٤٥-٥٤٨هـ / ١١٥٠-١١٥٣م)، وبقي من بعده ابنه الأكبر حامد الذي تزوج بامرأتين واستقر هناك بشكل دائم. وقد عاد أبو حامد إلى بغداد في (٥٥٤هـ / ١١٦٠م)، عند راعيه الوزير ابن هبيرة، حيث ألف كتابه الأول "المعرب عن عجائب المغرب"، الذي انتهى منه في (٥٥٧هـ / ١١٦٢م). وبعد ثلاث سنوات انتقل إلى الموصل في رعاية أحد علماء المدينة، الشيخ معين الدين الأربيلي، الذي شجعه على تأليف كتابه الآخر "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب"^(١٣). وتجدر الإشارة إلى أن الغرناطي قد تنقل بعد ذلك ما بين حلب وخراسان قبل أن يتوجّه إلى دمشق حيث توفي في ٥٦٥هـ / ١١٦٩م.

ويلاحظ في عنوان الكتابين تركيز المؤلف على "عجائب" البلاد التي أوردها حتى أصبح يعتبر بحق مؤسس "مدرسة العجائب" في الأدب الجغرافي. وقد وجد من انتقد الغرناطي على إكثاره من الأساطير وحكايات العجائب والغرائب، ولكن وجد أيضاً من يقدره كالمستشرق الروسي دورن Dorn، والمستشرق الروسي كراتشكوفسكي باعتبار أنه يمكن استخلاص حقائق جديدة وقيمة من بين العجائب والغرائب التي يسوقها في ما كتبه^(١٤). ولا بدّ هنا من التوضيح أن الغرناطي يشير أحياناً إلى مصادر (كأبن فضلان والمسعودي والحافظ وغيرهم)، ويطلق العنان أحياناً لخيال رواته الذين لا يسميهم، بينما يحافظ على حيز لا بأس به (نحو الثلث) على ما رآه بعينه. ولكن حتى هذا الجزء الذي يعتبر الأهم، وخاصة فيما يتعلق بأوروبا الشرقية، لا يخلو من المبالغات أو التعميمات كما في القسم الخاص ببلاد الباشغرد/ المجر، الذي يعيننا هنا. وفي حدود ما نعرف فقد كان الغرناطي أول عالم مسلم في هذا القرن يتمكن من الوصول إلى بلاد الباشغرد المجر، والتجول فيها والاختلاط بالمسلمين هناك والتأليف عنها، إلا أن ما يسوقه عنها على الرغم من قيمته يتضمن بعض الإشكاليات.

وهكذا في كتابه الأول "المغرب عن عجائب المغرب" يتحدث عن المسلمين في المجر في السنوات التي أقام فيها، وبالتحديد في عهد الملك غيزا الأول Geza (١١٤١-١١٦١م). وتجدر الإشارة هنا إلى أن الغرناطي يمتدح هذا الملك، ويذكر عنه "أنه يجب المسلمين"، ومع ذلك فقد تحدث الغرناطي عن قسمين مختلفين من المسلمين: "وفيها من أولاد المغاربة آلاف، لا عدد لهم؛ وفيها من أولاد الخوارزميين آلاف، لا عدد لهم أيضاً. وأولاد الخوارزميين يخدمون الملوك، ويتظاهرون بالنصراني، يكتمون الإسلام. وأولاد المغاربة لا يخدمون النصاري إلا في الحروب، وهم يعلنون الإسلام"^(١٥). وقد كان الغرناطي على صلة أوثق بـ "أولاد المغاربة" الذي احتفوا به وكرموا، ولذلك فقد اهتم بتعليمهم العبادات وأسس الفقه واللغة العربية^(١٦).

ونظراً لأن الغرناطي كان يهتم بكل ما هو مسلم في المجر، ولو كان هذا على حساب الآخر كما تقول الباحثة يوفانكا كالييتش^(١٧)، فقد أورد لنا معطيات في غاية الأهمية عن المسلمين خلال الصراع المجري - البيزنطي. فقد أقام الغرناطي في المجر خلال ذروة الصراع والحروب بين الطرفين حيث أسر كل طرف مسلمين من الطرف الآخر. وهكذا يذكر الغرناطي أن الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول قد أسر الكثير من المسلمين خلال المعارك مع المجر، وفي المقابل فقد أسر الجيش المجري الكثير من المسلمين الذين يقاتلون مع الجيش البيزنطي. وقد اهتم الغرناطي بهذا الأمر وتحدث مع جماعة منهم وتبين أنهم من "عسكر قونية" (سلاجقة الروم)، وأنهم يشاركون في القتال مع الجيش البيزنطي لأسباب مادية (٢٠٠ دينار للفرد)، وأنهم فوجئوا بوجود مسلمين في المجر، ولذلك فقد عمل الغرناطي على إعادتهم إلى قونية^(١٨). وفي الحقيقة أن معطيات الغرناطي عن هؤلاء المسلمين لا تتناقض مع المصادر البيزنطية كما بينت ذلك الباحثة كالييتش^(١٩).

أما في كتابه الآخر "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" فيضيف ما يفيد بوصول بعض العرب إلى المجر واستقرارهم هناك وذلك في سياق أسطوري عجائبي. فالمؤلف يذكر

القارئ يقوم عاد وملكهم الذي تجبر شداد بن عاد حتى أرسل الله سبحانه وتعالى له النبي هود، لثم يذكر أن شدد بن عاد هذا قد أرسل إلى العراق ابن عمه الضحاك بن علوان على رأس عشرة آلاف من الجبارة/ العمالقة، وكان في جملة هذا الجيش "رجل مؤمن يكتم إيمانه قد آمن بهوداً يقال له لام بن عامر، ولما اعترض مرة على ما يقوم به الضحاك من ظلم الناس شكك به الضحاك بكونه "على دين هود" مما جعل لام بن عامر يخشى على نفسه ويقرر الهرب. وهكذا فقد تظاهر بالخروج للصيد وغادر البلاد مع أولاده وحاشيته باتجاه الشمال حتى وصل إلى بلاد الباشغرد/المجر فاستقر هناك واتخذ قبة من الرصاص كالجبل وأمر أن يدفن هناك، وكتب على ضريحه أبيات من الشعر في اللغة العربية مطلعها:

أنا لام بن عامر المعتاص من ظلام الإشراك بالإخلاص
كنت بالله مؤمناً ربّ إدريس وهود مؤمناً بالقصاص

وعندما تنبّه الضحاك لغيابه عرف أنه قد غادر البلاد باتجاه الشمال، فأرسل خلفه أميرين على رأس جيشين من الجبارة/ العمالقة أحدهما وتوجّه إلى بلاد البلغار والثاني ذهب إلى بلاد الباشغرد/المجر. ولما قتل الضحاك أقام هؤلاء الجبارة/ العمالقة في بلاد البلغار وبلاد الباشغرد/ المجر. وهنا يؤكد الغرناطي هذه الرواية بما رآه بنفسه في بلاد الباشغرد/ المجر، حيث يقول إنه رأى قبورهم هناك، بل إن طول سن أحدهم أربعة أشبار وعرضه شبران، ولمزيد من التأكيد بضعف الغرناطي أنه كان لديه في بيته في بلاد الباشغرد/ المجر نصف أصل الثنية التي أخرجت من الفك الأسفل لأحدهم، حيث كان عرض ذلك النصف شبراً ووزنه ألف ومائتي مثقال^(٢٠). وكما في بقية الكتاب فإن المؤلف في عرضه لمثل هذه العجائب والغرائب لا يحاول

إن يناقشها أو ينقدها أو أن يفسرها في ضوء المعارف الموجودة في عصره، وهو ما يؤخذ عليه في الواقع.

وإذا تجاوزنا السياق الأسطوري الذي يشير إلى وصول مبكر لبعض العرب إلى المجر واستقرارهم هناك، فإن ما ورد في "المعرب" عن المسلمين الذين اختلط بهم الغرناطي خلال إقامته في المجر هو الأهم، وخاصة فيما يتعلق بأصولهم. وفي هذا الإطار فقد أثار تقسيم الغرناطي للمسلمين إلى "أولاد المغاربة" و"أولاد الخوارزمية" الكثير مكن الأسئلة حول أصولهم، وخاصة فيما يتعلق بـ "أولاد المغاربة". وتجدر الإشارة هنا إلى أن الغرناطي كان قد جاب العلم الإسلامي من المغرب إلى خوارزم وعرف جيداً شعوبه، ولذلك يثير وصفه لبعض المسلمين هناك بـ "المغاربة" الكثير من الأسئلة حول أصلب هؤلاء المسلمين. وفي الواقع لقد حاول العديد من الباحثين الخوض في هذه الأسئلة المطروحة حول أصل هؤلاء "المغاربة" في المجر وانتهوا إلى أجوبة مختلفة:

١- يرى الباحث التشيكي I. Hrbek أن هذا الاسم/ الوصف للمسلمين في المجر إنما ينبع من أسطورة شعبية محلية تربط تشكل أو استقرار المجموعات البشرية بالغرب^(٢١).

٢- يرى الباحث فيلوت فويغت V.Voigt أن اسم "المغاربة" الذي أطلقه الغرناطي على بعض المسلمين إنما يعبر بالفعل عن أصل هؤلاء المسلمين. فهو يرى أن موطنهم الأصلي هو الأندلس وجنوب إيطاليا وصقلية. ففي نهاية القرن الحادي عشر الميلادي توطدت العلاقات بين المجر وإيطاليا، حيث عقدت حينئذ معاهدة بين الطرفين، حتى إنه في سنة ١٠٨٧ م، تزوج ملك المجر كالمان Kalman ابنه روجر ملك صقلية، مما يجعل في الإمكان أن يكون هؤلاء "المغاربة" من العرب أو المسلمين القادمين من تلك الجهة^(٢٢).

٣- قارن الباحث البوسنوي اسماعيل باليتش I. Belic بين المصادر العربية والمجرية وانتهى حول هذا إلى أن اسم "المغاربة" لا يدل على انتماء اثني أو إقليمي/جغرافي وإنما هو يعبر عن وضع مهنة إذ يشير على ذلك باستخدام القوات العسكرية/ المرتزقة التي تقاتل في خدمة الحاكم/ النظام، ويستدل على ذلك باستخدام هذا الاسم في المشرق منذ الدولة العباسية^(٢٣).

٤- قارنت الباحثة اليوغسلافية يوفانكا كاليش J. Kalic بين معطيات الغرناطي والمصادر البيزنطية وانتهت إلى أن مثل الغرناطي لا يمكن أن يخلط بين الشعوب التي كان يعرفها جيداً في رحلاته، ولذلك رأت أن الخوارزمية الذين ذكرهم الغرناطي هم "الخوالص" الذين ورد ذكرهم في المصادر البيزنطية (يوحنا كيناموس)، بينما تميل إلى أن "المغاربة" هم البييتشنيغ (البجناق) دون أي تفسير للاسم نفسه^(٢٤).

ويبدو لنا بالاستناد إلى معرفة الغرناطي بشعوب تلك المنطقة التي اختلط بها خلال رحلاته أن "المغاربة" كان يقصد بهم الأتراك (البجناق) بسبب موقعهم الذي كانوا فيه، إلى الغرب من خوارزم والخوارزمية. فوجود البييتشنيغ (البجناق) في المجر لا يخلف عليه، وإنما الخلاف حول الاسم الذي عرفوا به. وتجدر الإشارة هنا إلى أن المصادر البيزنطية المعاصرة للغرناطي كانت تميز بين الأتراك المشارقة والأتراك المغاربة بحسب الموقع أيضاً، حيث كانت تطلق على الخرز "تركية الشرقية" وعلى المجر "تركية الغربية"^(٢٥).

وعلى كل حال لقد كان الغرناطي أول وآخر من ذكر هذا الاسم (المغاربة) للدلالة على بعض مسلمي المجر، إذ إن المصادر العربية اللاحقة بقيت تستخدم "الباشغرد" للدلالة عن مسلمين المجر فقط و"الهغز" للدلالة على المجر المسيحيين. وهكذا بعد نحو خمسين سنة يقدم ياقوت الحموي (توفي ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)، معطيات دقيقة بعد أن التقى في حلب بـ "طائفة كثيرة منهم يقال لهم الباشغردية" جاؤوا لدراسة الفقه

الحنفي. وعندما استفسر منهم عن أوضاعهم أجابه أحدهم أنهم في "مملكة أمة من الإفرنج يقال له الهنكر" حيث يجتمعون في نحو ثلاثين قرية "تكاد كل واحدة منها أن تكون بليدة" ويخدمون كثيرهم في الجيش ويتزبون كالأخرين^(٢٦). وعلى هذا المنوال نجد أن سعيد المغربي (توفي ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)، يميز بين الباشغرد (المسلمين وبين أخوتهم الهنكر - الهنقر (النصارى)، أي أن الفرق بينهم أصبح يكمن في الدين^(٢٧).

وعلى الرغم من أن النص الذي يقدمه ياقوت الحموي يشير بوضوح إلى تمتع الباشغرد بحريتهم الدينية، إذ يسمح لهم بالذهاب إلى بلاد الشام لتحصيل العلم ويعاملون باحترام كبير لدى عودتهم^(٢٨)، إلا أن المصادر المجرية تشير إلى العكس من ذلك، أي إلى اضمحلال سريع للمسلمين هناك في ذلك الوقت. وفي الواقع لدينا ما يشير إلى أن الضغوط على هؤلاء المسلمين بدأت منذ نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، وخاصة خلال عهد الملك كولمان الثالث (١٠٩٥-١١١٤م)، الذي أصدر عدة قرارات تنص على معاقبته المسلمين الذي يضبطون وهم يمارسون شعائر دينهم القديم (الإسلام) والتزام المسلمين ببناء كنيسة في كل قرية من قرى ورحيل نصف السكان المسلمين من كل قرية للسكن في قرى المسيحية وتزويج بناتهم إلى مسيحيين وغير ذلك^(٢٩). يبدو أن هذا التغيير في المواقف إزاء المسلمين جاء نتيجة للتعب الذي شمل أوروبا كلها خلال الحروب الصليبية، حيث إن الجيوش الصليبية كانت تمر عبر المجر خلال طريقها إلى المشرق وتنتشر في البلاد مثل هذه المشاعر^(٣٠).

ومما يدل على ذلك أو الوضع قد تحسن لصالح المسلمين خلال عهد الملك غيزا الثاني (١١٤١-١١٦١م)، الذي امتدحه الغرناطي خلال زيارته/إقامته في المجر (١١٥٠-١١٥٣م)، ولكن الوضع انعكس ثانية في عهد الملك أندرو الثاني (١٢٠٥-١٢٣٥م)، الذي أصدر عدة مراسيم تقرر الضغوط على المسلمين لدفعهم إلى التخلي عن دينهم وتذويهم في الإطار المجري^(٣١). وعلى الرغم من ذلك يبدو أن بعض المسلمين قد حافظوا على دينهم حتى مطلع القرن الرابع عشر الميلادي، حين قام الملك المجري

شاري روبراء الأنؤوي (١٣٠٨-١٣٤٣م)، بأؤبيرهم بين اعأأاق المسيؤية أو أأرك البلاد^(٣٢)، بينما بقي هناك من يذكأ بهم أأى القرن الخامس عشر الميلادي^(٣٣)، أي حين كانت المجر أواجه الأأأم العأمانى الذى سيؤدى إلى فأأ المجر وإلى مآ وؤزر آخر للإسلام هناك^(٣٤).

الهوامش

(١) آرثر كوستلر، إمبراطورية الخزر وميراثها، ترجمة حمدي

متولي مصطفى صالح، دمشق (لجنة الدراسات الفلسطينية)، ١٩٧٨م، ص ١١٩.

(٢) The Cambridge History of Early Inner Asia, edited by Denis Sinor, Cambridge University Press, 1990. Pp. 243-244.

تجدر الإشارة هنا إلى أن الأبحاث الفيلولوجية والأركيولوجية في القرن العشرين حول أصل المجر قد أفضت إلى أربع نظريات مختلفة

أ- المجر في الأصل شعب أوغري هاجر إلى سيبيريا الغربية أولاً حيث تحول إلى شعب من شعوب السهوب الراحل، وقد اختلط هناك مع شعوب تركية، وهاجر على شكل تحالف قبلي (يضم قبائل تركية أو تحمل أسماء تركية) إلى الموطن الجديدة.

ب- هاجر المجر إلى الجنوب أكثر، إلى بشكيريا الحالية، ليجاوروا بلغار الغولغا هناك، حيث جرى التداخل البلغاري-الهنغاري واستمر في السهوب الروسية الجنوبية حيث استقر التحالف المجري نحو ٧٥٠-٨٠٠ سنة قبل أن يهاجر أخيراً إلى الموطن الحالي.

ج- في الأصل كان هناك تحالف عشائري بين طرفين منفصلين ومتمايزين، الأول مجري Magyar والثاني أنغوري Onoghur، لم ينصهروا إلا في نهاية القرن التاسع ليشكلا المجر-الهنغار.

د- اللغة المجرية سبقت وصول أرباد إلى الموطن الحالي للمجر، حيث تؤكد أنها كانت مستعملة في سهول بانونيا Panonia قبل وصول أرباد في ٥٩٨م، أي أن بعض المجر قد يكون وصل إلى ذلك في وقت مبكر.

المرجع السابق، ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٣) للمزيد حول انتقال المجر واستقرارهم في الموطن الحالي. انظر: بومليه-بودولني، الأثنوس والتاريخ، ترجمة طارق معصراني، موسكو (دار التقدم)، ١٩٨٨، ص ٢١٨-٢٢٦.

(٤) حول ظروف انتشار المسيحية في المجر، انظر: يان دوبرانتشينسكي، أصداء الزمن- الكنيسة وكفاحها من أجل الوجود، ترجمة د. كبرو لحدو، دمشق (دار الحصار)، ١٩٩٥، ص ٣٤٤*٣٤٥.

P. Sugar, A History of Hungary, London- New York (I. B. Tauris) 1990, pp. 15-22.

(٥) أبو علي أحمد بن عمر ابن رسته، كتاب الأعللق النفيسة، المجلد السابع، ليدن (بريل)، ١٩٦٧، ص ١٤٣-١٤٤.

(٦) للمزيد حول هذه السفارة ورحلة ابن فضلان، انظر المقدمة الوافية التي وضعها د. سامي الدهان: أحمد بن فضلان بن العباس بن رشاد بن حماد، رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢١م، تحقيق الدكتور سامي الدهان، دمشق (وزارة الثقافة)، ١٩٧٨، ص ١٩-٤٧.

(٧) المصدر السابق، ص ١٣٩.

(٨) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، بيروت (دار الأندلس)، ١٩٦٥، ج ١، ص ٢٢٣.

(٩) أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصرطخي، كتاب مسالك الممالك، ليون (بريل)، ١٩٦٧، ص ٢٢٧.

(١٠) أبو القاسم ابن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، ليون (بريل)، ١٩٨٢، ص ١٩٩٩.

(١١) أبو عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس (الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق)، ١٩٩٢، ج ١، ص ٧٥٦.

(١٢) تجدر الإشارة إلى أن الباحثين الأوروبيين قد اهتموا منذ القرن التاسع عشر بالغرناطي وقدموا عنه دراسات وافية مع ترجمات لأعماله، فبعد الإشارات/الملاحظات الأولى لدربلو D'Herbelo وفرين Frahn وشارموا Charmoy جاء دورن Dorn الروسي ليقدّم أول دراسة جدية في ١٨٧٢، بينما صدرت أول ترجمة فرنسية لكتاب "تحفة الألباب" مع دراسة وافية لـ ك. فيران Ferrand في ١٩٢٥، وفي ١٩٥٣ ظهرت في الأسبانية ترجمة لكتاب "المعرب" مع دراسة طويلة لـ دبليو Dubler، بينما لدينا في النصف الثاني للقرن العشرين سلسلة من الدراسة في أوروبا الشرقية والغربية عن الغرناطي ومؤلفاته. للمزيد عن ذلك انظر الطبعة الجديدة من كتاب "المعرب" لبيارانو، حيث أحدث دراسة وبيلوغرافيا واسعة عما نشر عن الغرناطي:

Abu Hamid Al-Garnati, Al-Mu'rib 'An ba'd 'Aya'ib Al-Magrib, Intrduccion y traduccion por Ingrid Bejarano, Madrid (ICMA), 1991.

(١٣) "ولما وصلت إلى الموصل سنة سبع وخمسين ونزلت في جناب الشيخ... ولم يزل، أبقاء الله، يحثني كلما ألقاه أن أجمع ما رأيته من الأسفار من عجائب البلاد والبحار، وما صح عندي من نقلة الأخبار، فأجيبته إلى ذلك ورأيت أن اسمي هذا المجموع "تحفة الألباب ونخبة الأعجاب": أبو حامد عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع القيسي الأندلسي الغرناطي، تحفة الألباب الأعجاب، تحقيق الدكتور اسماعيل العربي، بيروت - المغرب (دار الجيل - دار الآفاق الجديد)، ١٩٩٣، ص ٩.

(١٤) اغناطيوس يوليا نوفيتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم وراجعه إيغور بلياييف، القاهرة (جامعة الدول العربية)، ١٩٦٠، ص ٢٩٥-٢٩٦.

ويضيف نوفيتش كراتشكوفسكي هنا (ص ٢٩٦)، إن الدراسة العميقة التي قام بها ج. ياكوب G. Jacob تثبت أن التحليل العميق لرواياته التي كانت تنسب قبلاً إلى محيط الأساطير قد يكشف في كثير منها عن أسس واقعية وعن دقته الكبيرة في الملاحظة.

(١٥) Abu Hamid el-Gradino y su Relacion de viaje por tierras eurasiaticas, ed. C.E.Dubler, Madrid 1953, P. 27.

(١٦) "ولما دخلت بين أولاد المغاربة أكرموني، وعلمتهم شيئاً من العلم، وأطلقت السنة بعضهم بالعربية، وكنت أجتهد معهم في الإعادة والتكرار في فرائض الصلاة وسائر العبادات، واختصرت لهم الحج وعلم المواريث حتى صاروا يقسمون المواريث...": المصدر السابق، ص ٢٨.

(١٧) Jovanka Kalic, "Podaci Abu Hamida o prilikama u juznoj Ugarskoj credinom XII veka", Za istoriju 4, Novi Sad 1971, p. 29.

(١٨) الغرناطي، المغرب، ص ٣١.

يروى الغرناطي في هذا السياق (ص ٣١-٣٢) أمراً مشيراً يتعلق بوضع المسلمين في المجر وبيزنطة، ألا وهو أن الإمبراطور البيزنطي تساءل عن سبب نجاح ملك باشغرد المجر في التوغل في بيزنطة وتخريبها فقل له أن "ملك باشغرد عنده عسكر من المسلمين قد تركهم يظهرون دينهم". ولما تساءل "وعندي مسلمون لا يقاتلون معي" قيل له "أنت تقهرهم على النصرانية"، ولذلك قرر أخيراً "لا أقهر مسلماً على ديني أبداً، وأبني لهم المساجد حتى يقاتلوا معي".

(١٩) Kalic, Podaci Abu Hamida, pp. 32-34.

(٢٠) الغرناطي، تحفة الألباب، ص ١٥١-١٥٢.

I.Hrbek, "Em arabischer Berichtuber Ungaren", Acta (٢١)
Orientalina Academiae Scientiarum Hungaricae 5, Budimpest 1955,
pp. 205-230.

Vilmos Voigt, "Hungarian Sources on Early (٢٢)
Mediterranean Contacts "in Frist Congress of Mediterranean Studies
of Arab-berber influence, edited by M. Gallay and D.R. Marshall,
Algiers (SNED)1973, pp. 213-228.

(٢٣) اسماعيل باليتش، الإسلام في المجر في القرون الوسطى، ترجمة فريد أحمد
القاضي، الموسم الثقافي لجامعة الأزهر، ١٣٨٤-١٣٨٥هـ / ١٩٦٤-١٩٦٥م،
القاهرة ١٩٦٦، ١١-١٢.

وللمزيد حول قوات المغاربة في الدولة العباسية، انظر: د. فاروق عمر فوزي،
الخلافة العباسية في عصر المفوض العسكرية، بغداد (مكتبة المثلى)، ١٩٧٧، ص
١٣٨.

هذا وقد أكد المؤلف في حديث معي حول الموضوع بتاريخ ١٤/٣/٢٠٠٠، أنه يعتبر
"المغاربة" هنا بالمفهوم الجغرافي وليس الاثني.

Kalic, Podaci Abu Hamida, PP. 32-34. (٢٤)

The Gambridge History of Early Inner Asia, p. 247 (٢٥)

(٢٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت (دار صادر)، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٣٢٣.
م، وسنم، وسنة وتجدد الإشارة إلى أن الحموي كان في حلب سنة ٦١٣هـ /
١٢١٦-١٢١٧هـ / ٢١هـ / م، مما يعطينا التحديد للوقت الذي التقى فيه بحلب مع
هؤلاء المسلمين.

(٢٧) أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق/
اسماعيل العربي، بيروت (المكتب التجاري)، ١٩٩٠، ص ١٨٢ و ١٩٤.

(٢٨) الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٢٣.

T.Lewicki, "Madjar", The Encyclopaedia of Islam, new edition, (٢٩)
Vol. 5, Leiden 1986, p. 1015

ويضيف لويسكي هنا أن اسم "الخوالص" أو "الخالص" في المجرية الذي يرد في عدة صيغ: Kaliz و Caliz وغيرها في اليونانية Lhalisioi إنما ينحدر من الاسم الروسي Khvalisi القديم الذي أطلق على خوارزم والخوارزمية.

(٣٠) المصدر السابق.

(٣١) تجدر الإشارة هنا إلى أن الملك أندرو بدأ عهده الطويل (١٢٠٥-١٢٣٥)، بالاستمرار في سياسة التسامح مع المسلمين التي كانت تسمح لهم بمشاركة واضحة في الدولة والمجتمع، ولكنه تعرض لضغوط قوية من الكنيسة الكاثوليكية حتى اضطر إلى تغيير سياسته إزاء المسلمين ابتداءً من سنة ١٢٢٢م، فقد أصدر في تلك السنة الميثاق المعروف باسم "المرسوم الذهبي"، الذي حدد بموجبه حقوق المجر، والذي حدّ فيه من حقوق المسلمين واليهود ويبدو أن هذا التصديق على المسلمين بقي على الورق حتى ١٢٣٢م، حين أصدر الأسقف روبرت استرغوم مرسوماً بالحرمان للمجر، ودعا فيه المجر المسيحيين على عدم التعامل مع المجر المسلمين، وتحت هذه الضغوط عقد الملك أندرو الثاني في ٢ آب ١٢٣٢م، اتفاقية مع ممثل الباب غريغوري التاسع تعهد فيه بالتصديق على المسلمين واليهود في المجر، بما في ذلك ارتداء ما يميزهم عن المسيحيين:

Lewicki, Madjar, p. 1020; Smail Balic, "Podunavski Muslimani srednjega vijeka", Bosanski pogled 3, Fribourg 1962, P. 14.

(٣٢) Lewicki, Madjar, p. 1021; Balic, Podunavski Muslimani, p. 14

صدر هذا القرار /التخيير في سنة ١٣٤١ وفي غضون ذلك صدرت "ثلاثية فريبنتس" (مجموعة القوانين المجرية) التي تتضمن ما يلي:

المادة ٤٦: كل من رأى اسماعيلياً (مسلماً) يصوم أو يأكل على غير الطريقة المسيحية أو يمتنع عن أكل لحم الخنزير أو يغتسل قبل الصلاة أو يؤدي شعائر دينه، وأبلغ الملك بذلك فيعطى له جزء من أملاك ذلك الاسماعيلي (المسلم).

المادة ٤٧: على قرية اسماعيلية (مسلمة) أن تشيد كنيسة وأن تؤدي لها الضرائب المقررة، وبعد الانتهاء من تشييد الكنيسة يجب أن يرحل نصف مسلمي القرية.

المادة ٤٨: لا يسمح لاسماعيلي (المسلم) أن يزوج ابنته من عشيرته، وإنما يتحتم عليه أن يزوجها رجلاً من الجماعة المسيحية:

بالييتش، الإسلام في المجر، ١٩-٢٠.

(٣٣) على الرغم من أن المسلمين كانوا قد أجبروا على اعتناق المسيحية خلال القرن الرابع عشر وأصبحوا يتكلمون المجرية كغيرهم إلا أنه بقي شيء من ملامحهم على الأقل حتى نهاية القرن الخامس عشر. فقد أقدم أ. بونيفينوس Bonifinivs وصفاً حياً لهؤلاء المسلمين - المسيحيين الآن جاء فيه أنهم "يرسلون لحاهم وشواربهم ويرتدون الزي الفارسي". : Lewcli, Madjar, p. 1021. والأهم من هذا أن المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس يؤكد على ما خلفه هؤلاء المسلمين في الأدب الشعبي المجري. فهو يوضح بالاستناد إلى ما توصل إليه الباحث المجري ب، بارتوك أن الوزن والعروض في الشعر الشعبي المجري والموضوعات في الأغاني الشعبية المجرية إنما هي من أصل شرقي إسلامي:

عبد الكريم جرمانوس، بين فكرين - الأثر الشعبي المبدع في النتاج الفكري، إعداد صلاح ذهني، دمشق (فتى العرب)، د. ت. ٠، ص ٦٠.

(٣٤) كانت المجر تعاني في مطلع القرن السادس عشر من تلمل اجتماعي (فلاح) كبير ضد الأرستقراطية أدى إلى اندلاع الثورة الفلاحية في ١٥١٤، التي قمعت بشكل دموي، مما جعل بعض الفلاحين يتطلعون بأمل إلى العثمانيين كمحررين لهم. وبعد الانتصار العثماني في معركة موهاتش في ١٥٢٦م، التي قتل فيها الملك المجري لويس الثاني وقضي فيها على معظم الأرستقراطيين

المجرية، أيدَ العثمانيون اختيار النبيل زابوليا ملكاً على المجر ضد ادعاء فرديناند هابسبرغ بحقه في هذا العرش. ولكن بعد وفاة زابوليا في ١٥٤٠، أصبحت المجر ولاية عثمانية كغيرها من الولايات مما عزز الطابع العثماني فيها، وخاصة في المدن (بودابست وغيرها). ومع أن العثمانيين فيها لم يحاولوا نقل وتوطين عائلات تركية مسلمة كما في بعض مناطق البلقان، إلا أن الأمر هنا تغير مع قدوم واستقرار عائلات/جماعات من مسلمي البوسنة المجاورة للاستقرار في المدن المجرية، كما أن المنشآت التي أقاموها (الجوامع والمدارس والحمامات) وانتشار الإسلام التدريجي في المجر جعل الطابع الإسلامي في بعض المدن يبدو أكبر من الحجم الحقيقي للسكان المسلمين، الذين تلاشوا مرة أخرى بعد انحسار الحكم العثماني للمجر نتيجة لمعاهدة كارلوفتز ١٦٩٩.

وللمزيد حول الإسلام في المجر خلال الحكم العثماني انظر: بول كولز، **العثمانيون في أوروبا**، ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة (الألف كتاب الثاني)، ١٩٩٣، ص ٨٢-٨٩؛ روبير مانتوران، **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة بشير السباعي، القاهرة (دار الفكر للدراسات)، ١٩٩٣، ج ١، ص ٤٤٤-٤٤٥.

(Iy. Szekely, La Hongrie e la don,ination ottomane XV-XVIII siecles, Budapest 1975; L. Fekete, Buda and Pest under Turkish Rule, Budapest 1976; S.J. Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Vol. I, Cambridge 1976, pp. 91-94. Sugar. A History of Hungary, pp. 83-120.